حتى احتاطت به العربان وقبضوا عليه ووضعوه في الحديد واتوا به الى السلطان سليم فلما وقعت عينهُ عليه قام لهُ اجلالاً لكنهُ ابقاهُ عنده في الحديد الى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول ثم أُركب على كديش وسير به من برانيابه الى بولاق ومنها الى باب زويلة وشُنق هناك . وقد اسف عليه اهل مصر اسفاً شديداً لانهُ كان حسن الشكل كريم الاخلاق شجاعاً مقداماً ساس الناس احسن سياسة لما كان نائباً عن عمهِ السلطان الغوري ولما تسلط بعدهُ ابطل كثيراً من المظالم

هذا وسيأتي على بقية اخبار السلطان سليم في الجزء التالي . وقد ابقينا على كثير من تراكيب ابن اياس والفاظهِ حيث لم نخشَ خفاء المعنى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحةً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن براهُ منه كلو . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مختلفان من اصل واحد فمناظراك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطالة

المأمون ويحيى بن اكثم

حضرة الدكتور الفاضل منشىء المقتطف

قرأت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة تقريظاً لكم على كتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) فعلتم انهُ انجبكم ما فيهِ من الفوائد الى أن وقع نظركم على احدى صفحاتهِ فانعكس الامر والتبستموهُ من يدكم مستغفرين الله مما كنتم نشرتموهُ في المقتطف من ترجمة المأمون . قائلين * ان احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربية في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ * قرأت هذا فتفسمت من خلال سطوره انكم لا تتقمون من احمد بك مبالغتهُ في وصف حضارة العرب وانتصارهُ على الحسن الجميل منها بل انكم تتقمون ايضاً ان يكون للعرب حضارة وقد نسب الرواة الى خلفائهم وقضاتهم ما نسبوا

وهذا هو موضوع عنابي . بل مثار تعجبي واندهاشي

عجبت من جعل كتب الادب التي يقصد فيها عادة التكاهة والاحماض — ميزاناً توزن به رجال التاريخ . ويؤخذ عنها تراجم العظماء . ودهشت من جعل ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاتهم على فرض ثبوته — آيةً على تجرّد العرب من الحضارة . ولو جعل آيةً على تجرّد أولئك الخلفاء والقضاة انفسهم من الفضيلة لكان اقوم قيلاً . واظهر دليلاً

فمن ثمّ كان الحديث مع منشىء المقتطف الفاضل يتناول امرين : الاول ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لتلك الامة حضارة راقية . والثاني تكذيب ما جاء في كتاب (ثمار القلوب) من نسبة المنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم . ونحن في بحثنا هذا لا نريد ان نقيد حضرة مناظرنا قائدةً بجهلها . او ان نحيلهُ على ما لا عهد لهُ بهِ من مسائل التاريخ واطوار الاجتماع الانساني . وانما نحب ان نحيلهُ على ما اختزن في ذاكرتهِ . وقد اذهلهُ عن تذكرهِ اغراق احمد بك زكي في وصف الحضارة العربية او الاسلامية . فنقول في الامر الاول : انهُ لا علاقة منافاة بين التفنن في الملذات مهما فحشت وبين الحضارة . فلا يحسن ان يقال ان الامة الفلانية لاحضارة لها لان رجالاً منها كانوا ذوي اميال فاسدة ويتعاطون من المنكرات ما قبح وشنع . نعم قد يكون تفشي الفواحش في الامم عاملاً على انحطاطها . واماطة حلية المدينة عنها " واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا "— القرآن الشريف . فلو قال حضرة المنتقد الفاضل : ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية . وانحطاط شأنها . والتواء امرها — لكان لهُ وجه . اما ان فعل اولئك الخلفاء والقضاة ينافي ان ننسب الى مجموع الامة العربية حضارة فهذا امر لا وجه لهُ . الاسترسال في اللذات والتفنن في تحصيلها اثر من آثار مدنيات الامم . ولا شيءَ من هذا الاثر في الامم ذات الهمجية . وكلما ارتقت مدنية امة ارتقى هذا الاثر فيها حتى يصبح اخيرًا ضربة قاضية يصيب مقاتلها فيعميها . اعتبر ذلك في الامم الغابرة . ولم تنجُ منهُ المدنيات الحاضرة . لولا ان قادة هذه المدنيات يحوطونها بشيءٍ من التبصر وحسن التدبير من مثل تعميم علوم الصحة . وترتيب الاغذية . وفنون الرياضة الجسدية

ومدنية العرب في الاندلس وبغداد كان لها حظ وافر من التقلّب في ضروب الترف والنعيم وصنوف الملذوذات الجسدية . وقد سارت فيها على آثار من تقدمها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع : فقد جاء بعض السياح من الاندلس الى بغداد ليتفحص حضارتها ويقارن بينها وبين

حضارة بلادهِ . فكان مما رآهُ فيها حمّام لبعض امراء الخلافة . ثم وصف النائح الحمام ووصف حجرة فيهِ خاصة باغتسال الاميرمع من يختارها من حظاياهُ وصفاً مدهشاً . ثم قال ان مترفي الاندلس على ما كان من امرهم لم يبلغوا هذا المبلغ في التورّن واتانين التنعم

ولكنهم لما كشفوا في هذه الازمنة المتأخرة عن انقاض مدينة (بياي) الرومانية وجدوا حجرة فيها لبعض غلاة مترفيها تحكي في وضعها وشكلها ونقشها حجرة اميرنا البغدادي

وليس من شرط المدنية الفاضلة ان يكون كل فرد من مشهوري رجالها طاهر الذيل كريم الخلوة . ولماذا يريدون هذا في حضارة العرب ولا يريدونهُ في حضارات الامم الاخرى

وانهُ ليبلغنا عن بعض ملوك اوربا وملكاتها لهذا العصر — دع عنك الاعصر الوسطى — وعن بعض رجال فرنسا ومترفيها المحنكين واغنياء اميركا وغرائبهم في تقحم الشهوات — يبلغنا عنهم ما يكاد ينكرهُ الساذج مثلي . ومنذ ايام حدثني زميل فاضل وقف على شيء من اسرار المعيشة الاميركية . ومما رس بنفسهِ بعضاً من شؤونها : انهُ اذا استحكمت عرى المودة بين رهط من اغنياء الاميركيين المترفين كان لهم خلوات خاصة . يدعون اليها فتاة من فتيات اشتهرنَ بضرب من ضروب الرقص غاية في الخلاعة والمجون . بحيث لا يصدق ان قوماً خوطبوا بآية — من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ — ينزعون الى مثل هذه المنات . ولكن هي الشهوات والثروات والخلوات

اما ما يرويهِ لنا التاريخ القديم عما كانت تأتيهِ امة المتمدنة من افانين التحشاء والمنكر فمن الغرابة بمكان . وقد قرأت في كتاب فرنسوي فصلاً ذكر فيهِ مؤلفهُ ما كان جرى بين ام احد فراعنة مصر وبين ابنة رئيس الكهنة . مما يدل على ان الدين والحشية في امر من الامم لا يمكن ان ينزعا الامراض الفاسدة من نفس كل واحد من ابنائها . اللهمَّ الا اذا نزعتا النفس نفسها . وربما ترجمت الفصل المذكور الى اللغة العربية ونشرتهُ في بعض اعداد المؤيد . وهذه الخزاية التي تنخع بها المتمدن العربي وشوّهت اسم بعض رجالهِ تلطخ بها المتمدن اليوناني والروماني وتاريخ كثيرين من عظمائهِ : فلم يحكم على سقراط اشهر حكماء اليونان بالقتل لكونهِ ألحد في الآلهة فقط بل لانهُ افسد غلمان البلد ايضاً . وذكروا انهم لما اعطوهُ كاس السم ليتجرعهُ امسك الكاس بيد وجعل يعبث بشعر (السيباد) عشيقهِ باليد الاخرى

وقد قالوا في يوليوس قيصر اقبح قول ووصفوا ميلهُ الفاسد بابلغ وصف . ومثلهُ في ذلك نيرون وادريان . وقل يخلو متحف من متاحف اوربا من تمثال لانطونين عشيق ادريان المذكور

فما عزي ان المأمون وقاضيهِ على فرض وقوعهِ لا ينالهُ ان يكون للعرب حضارة ذات

شأن . فما بالك اذا كان الخبر من اصله حديثاً مفترى . وهذا هو الامر الثاني الذي جئنا نعاتب عليه حضرة منشيء المقتطف الفاضل من حيث انهُ صدقهُ وبنى عليهِ حكمهُ الجائر

ذكر ثقات المؤرخين من عظمة الخليفة المأمون . وكبر نفسهِ . وعلو همتهِ . وطهارة اخلاقهِ . ما لا يجتمع قط مع هذه القاذورة التي اتهم بها . ولو صح ما قالهُ عنهُ صاحب كتاب (ثمار القلوب) لكان في الدرك الاسفل من الخسة والدناءة . واذكر ان بعض المحققين قال : انهُ ما كان يأخذ على المأمون سوى قولهِ بخلق القرآن . ولم يحملهُ على هذا القول الاَّ تعمقهُ في علم الكلام (اللاهوت) . ونسبة الفحشاء الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم في البطلان كنسبة شرب الخمر اليهما : حتى زعموا ان القاضي سكر مرةً مع شرّبٍ فيهم الخليفة فأمرهم ان يدفنوهُ بالرياحين ففعلوا ثم افاق وانشد

يا سيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهِ من كان يتقيني
إني غفلت عن الساقي فصيَّرني كما تراني سليب العقل والدين

يا سبحان الله : هل يعقل ان قاضياً وراوياً لحديث رسول الله مثل يحيى بن اكثم يقول وهو نشوان في حضرة اكبر خليفة ولأنهُ اكبر وظيفة دينيَّة — انهُ مسلوب العقل والدين !!!

وقد تناقل الرواة والقصاصون نسبة المعاقرة الى المأمون ويحيى حتى بلغت ابن خلدون فكتبها في مقدمة مقدمتهِ . وقال ان ما يعزى اليهما والى هرون الرشيد من المعاقرة لا اصل لهُ . وانما هم كانوا يشربون النبيذ . ولم يكن محظوراً عندهم (يعني لانهُ غير مسكر) . وقال ايضاً ثبت ان المأمون وقاضيهُ كانا يصليان الصبح جميعاً . فاين هذا من معاقرة الخمور . وارتكاب الفجور . وما ذكرهُ صاحب (ثمار القلوب) ظاهر عليهِ التردد والضعف : فهو تارةً يقول (يحكى) وطوراً (يقال) ومما استدل بهِ : ان المعتصم انما اتخذ الغلمان من الاتراك جنوداً لهُ اقتداء بأخيهِ المأمون في الميل اليهم . مع ان محققي المؤرخين قالوا انهُ اتخذهم ليقاوم بهم عصبية الجند العربية التي ربما كانت تناوئ الخلافة العلوية . ومن التناقض البين ان صاحب (ثمار القلوب) قال في وصف يحيى " انهُ كان متقدماً في الفقه وآداب القضاة " ثم نقل بعد ذلك ما رواهُ الراوون عنهُ . فاي ادب للقضاة مع هذه التهمة ؟ واذا ذكرنا لك ما قالهُ علماء الحديث في يحيى بن اكثم تبينت لك قيمة الخبر من الصحة ويتبع ذلك براءة المأمون نفسهِ لان مؤلف ثمار القلوب زعم ان يحيى هو الذي اغراهُ بهذا الشيء وزينهُ لهُ :

كان يحيى بن اكثم من كبار رجال الحديث . وقد خرّج عنهُ الترمذي صحيحهُ . وروى عنهُ البخاري . واثنى عليهِ احمد بن حنبل . وذكرهُ ابن حبّان في الثقات . اي عدهُ

في جملة رواة الحديث الذين يوثق برواياتهم . فاذا صدقنا بعد هذا كله ما قيل في يحيى نكون اساءنا الظن بهؤلاء الرجال من ائمة الحديث . وكذبناهم في اخص وظائفهم التي هي نقد رواة الحديث . وتمحيص اخبارهم . وانكشف عن مساويهم . وهم لا يدوّنون اسم احد في الثقات ما لم يبلغوا الغاية في البحث والتنقيب فمن المستبعد جداً ان يؤدوا شهادة حسنة يحيى . ويعدوه في الثقات الذين تتلقى عنهم احكام الدين وتعاليمه . ثم يكون امره على الحالة التي وصفها القصاصون ورواها بعض الادباء في كتبهم . والثعالبي مؤلف (ثمار القلوب) مهما علت منزلته في فن الادب فليست له منزلة في فن الحديث . ونقد رجال الرواية . وما هو الا أديب يحب النكاهة . ويروي النكتة . ويدوّن كل ما له علاقة بالشعر وفنون الادب . اما التمحيص والتحقيق فقد تركه للمشتغلين به من علماء التاريخ والحديث

على ان هؤلاء لم يفتهم خبر تلك التهمة التي الصقت بيحيى . ولم يألوا جهداً في تكذيبها وتفنيد رأي راويها : فقد قال ابن خلدون " وكذلك ما ينبذ الجهال به يحيى بن اكثم من الميل الى الظلمان بهتاناً على الله . وفرية على العلماء . و يستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه : فانهُ كان محسوداً في كماله وخلّة (صداقته) للسلطان . وكان مقامهُ من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا ؟ وانكر ذلك انكاراً شديداً . واثنى عليه اسماعيل القاضي (وهو من كبار رجال الحديث) فقيل لهُ ما كان يقال فيه . فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد . واني ابرأ الى الله من ان يكون فيه شيء مما يرمى به . ولقد كنت اقف على سرائره فاجده شديد الخوف من الله . لكنهُ كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به "

فدلنا قولهم هذا على ان منشأ التهمة امران : وجود اعداء لهُ يحسدونهُ على تقربه من الخليفة . والدعابة التي فيه : فقد يفاكه غلاماً من كتّاب الدواوين لأمر حقير يراهُ في وجهه مثلاً فيقول قائل ان القاضي يتعشق ذلك الكاتب حتى اذا وصل الخبر الى رئيس الديوان او غيره من رجال قصر الخلافة وفيهم من يحسد القاضي ذكروا ذلك للخليفة . فيضحك الخليفة او يقطب زجراً للقائل . وعلى كل حال تعدّت التهمة اليه نفسه . فاذا بلغ الامر ابا نواس او غيره من الشعراء شياطين النكتة او غواة تلك الفاحشة نظموهُ شعراً . وربما كان لهم من يتعمد ترويجهُ في عقول الناس احتجاجاً به على حسن فعلته . واستقامة طريقته وهكذا كل من ارتكب منكراً . او اعتاد رذيلة . تراهُ احياناً يسقط اخبار الرؤساء

والفضلاء . حتى اذا توهم ان احداً منهم مبتلى بما ابتلي به هو اذاعهُ بين الناس : فالخائن والحقود واللئيم يسرهُ جداً ان يتهم كبار القوم بمثل ما اتهم هو به . والمدمن يزعم ان فلاناً وفلاناً من الفضلاء يتعاطون الشراب سرّاً والمبتلى بالحشيش لا يقف عن هذا الحد بل يذهب الى ان الحشيش مما اكتشفهُ اهل الله وكبار رجال التصوف . وانهم يتعاطونهُ لاجل ان تصفو نفوسهم من الاكدار وتلحق بافق الملائكة الاطهار

فقد تحصل معنا كذب ما رواهُ الراوون عن المأمون وقاضيهِ كما تبين ايضاً ان هذه الرواية واشباهها مهما فرضنا صحتها لا تقدح في حضارة العرب ولا تنفي وجودها . واذا كان في هذه الحضارة ما يؤخذ عليها كما اخذ على غيرها فان الكمال لله وحدهُ

القاهرة في ٧ مارس سنة ١٩٠٩ عبد القادر المغربي

[المقتطف] تدور رسالة حضرة المنتقد الفاضل على ثلاثة امور اولاً نتشمهُ من خلال سطورنا اننا نفتم ان يكون للعرب حضارة . والثاني نسبتهُ العيوب الى بعض العظماء ولا سيما الى سقراط كبير الحكماء لكي يستدل من ذلك على ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لها حضارة راقية . والثالث وهو الاهم نفي ما جاء في كتاب ثمار القلوب عن نسبة المغنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم

والامر الاخير هو الاهم وبهِ الغناء عن الامرين الاولين ولذلك نقدمهُ بالذكر ونقول اننا لما قرأنا ما تراهُ في كتاب ثمار القلوب لم يخطر ببالنا ان احداً ينفي روايتهُ ولو خطر ذلك لنا لاشرنا اليهِ واظهرنا غيظنا من الثعالبي لذكره هذه التهمة . ومن لا يغتاظ من نسبة امر قبيح مثل هذا الى من نعدهُ اساس النهضة العلمية العربية لا سيما وان الثعالبي من الثقات الذين يؤخذ بقولهم لم يذكر القصة في معرض الريب بل ذكرها كأنها من الامور المتعارفة التي تضرب بها الامثال . ولا يخفى انهُ اذا تعادلت حجة الاثبات وحجة النفي فحجة الاثبات اقوى لان من حفظ حجة على من لم يحفظ . ولكننا اميل الى تصديق الثاني في امر المأمون وقاضيهِ منا الى تصديق المثبت ونعتقد ان حجج النفي قاطعة في هذه المسألة . ولو اكتفى حضرة المنتقد الفاضل بتبرئتهما خلا كلامهُ من كل ما نؤاخذهُ بهِ

والتعليل الذي اوردهُ لاصل هذه التهمة معقول ولكنهُ ببيض وجهين ويسوّد وجوهاً لانهُ حكم على الذين اتهموا المأمون وقاضيهُ انهم من مرتكبي ذلك المنكر ومعتادي تلك الرذيلة فتوهموا انهما مبتليان بمثل ما ابتلوا هم بهِ

وعلامة لنا على تصديننا الخبر كان يصح لو خلت كتب اللغة وكتب الادب وكتب التاريخ مما يحلة ولحلة . من فتح القاموس وقرأ صفحة فيه ولم يحمر وجهه خجلاً ومن قرأ المستطرف وهو من نخبة كتب الادب ولم يرَ فيه من تلك المنات بل الكبائر ما يحمر منه جبين الادب . وان قيل ما علاقة ذلك بالحضارة قلنا هذه مسألة اخرى سنبحث فيها قريباً

الامر الثاني استشهاد حضرة المنتقد بمساوىء بعض الامم للاستدلال على ان الاسترسال في اللذات اثر من آثار المدنية . ولا ندري لماذا لا يقول انهُ داء يظهر في جسم المدنية فيميتها كما اشار الى ذلك اولاً وهب انهُ اثر من آثار المدنية فهل يؤاخذ ذلك دليلاً على استحسانه او عدم استهجانه او على تسويغ الاغضاء عنهُ ونحن نبحث عن اسباب ارتقاء الامم وانحطاطها . ولقد قال اننا لو قلنا ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية وانحطاط شأنها والسواء امرها لكان لنا وجه . فان كان الامر كذلك افليس لنا ان نؤاخذ من يشرح مدنية العرب ولا يشير الى المنات التي اضعفتها وحطّت شأنها

واشارة المنتقد الى سقراط خطأ ادّى اليه سوء الترجمة فان الكلمة التي ترجمها بكلمة افسد غلمان البلد وترجمتها دائرة المعارف بافساد الاحداث معناها تضليل الاحداث او افساد اخلاقهم وآدابهم ولا تأتي هنا بغير هذا المعنى . ولقد اوضح زينفون تلميذ سقراط كيف استدل خصوم سقراط على صحة هذه التهمة فقالوا انهُ " اولاً علم اتباعهُ ان يحتقروا قوانين البلاد ولاسيما الانتخاب بالقرعة . وثانياً عدّ بين اصحابه كرمياس والسيادس واولهما من زعماء الحكم الاستبدادي والثاني من زعماء الحكم الجمهوري وكلاهما من اشد الزعماء خطراً . وثالثاً علّم الاحداث ان يحصروا والديهم واوصياءهم وان يفضّلوا سلطتهُ على سلطتهم . ورابعاً انهُ استشهد بابيات من هوميروس وهسيودس تضرّ بالآداب العمومية والحكم الجمهوري " . وما من احد قرأ عن سقراط الاّ وهو يعلم انهُ من احكم الحكماء وافضل الفضلاء سيرةً وسريرة . ولكن هب انهُ كما فهم المنتقد وهب ان جمهوراً كبيراً من الملوك وقضاتهم كذلك فهذا لا يحو وصمة العار عن المأمون وان اكثم ان كان ما نُسب اليهما صحيحاً لان الاسودين لا يكونان ابيض كما يقول المثل الانكليزي . واستشهادنا بعيوب الغير تنمُّلاً من عيوبنا شنشنة قبيحة نخجل حضرة المنتقد عنها

ونأتي الآن الى الامر الثالث الذي قدّمهُ المنتقد بالذكر وهو انهُ تنسّم من خلال سطورنا "اننا نتمم ان يكون لنعرب حضارة" وهو موضع عتاب كاتب هذه السطور وشارحيه واندهاشه فان المقتطف نوّه بحضارة العرب وانشأ فيها الفصول الطوال قبلما ولد اكثر اصحاب القلم

من ابناء هذا العصر. ولما رأينا كتاب حضارة الاسلام في دار السلام لمؤلفه المأسوف عليه جميل المدور طبعناه على نفقتنا تنويهاً بحضارة الاسلام. وكلما رأينا اثراً من آثار تلك الحضارة اخذتنا هزة الطرب. وبالامس كان كاتب هذه السطور ماراً امام سواحل الاندلس فكادت العبرات تفيض من عينيه وسمك القلم ليصف ما شعر به فكتب شعراً بدل النثر الشدة انفعاله قال

نصر الله امة اذ تولى امرها العادلون بين الخلائق
قام صديقها باصدق امر وتلاه الفاروق بالعدل فارق
وكماة في الكرمات تباروا وهم الاسد في صدور القيالق
دوخوا الارض وطدوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزوا والملك صار عضوضاً فاستكنوا كأنهم في حدائق
وتباروا في البذخ فالظلم فالا ينقال في ما يعد ذلك ماحق
شمس عدل ضمت شعوباً فلما كفت ترقى الشعوب طرائق

وقال قبل ذلك

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
والتخ الفساد والفرس جاسوا بجزة خائفين حتى الخنائق
واذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائق

فلخص تاريخ الحضارة الاسلامية تخلص من يعرف مقامها ويبين الاسباب التي تؤسست اركانها كما قوضت من قبلها حضارة الروم والفرس

وان من يكتب تاريخ امة قامت وعزت ثم انحطت وضعف شأنها لا ينصف التاريخ ولا سامعيه اذا لم يذكر اسباب قيامها وعزتها واسباب وانحطاطها وضعفها. وزبدة المقال ان المنتقد الفاضل احسن في دفاعه عن المأمون وابن اكثم واتى باحسن ما يقال في هذا الموضوع. واذا لم يكن لسطر الذي كتبناه من فائدة غير تنبيه حضرته الى كتابة ما كتب في نفي هذه التهمة لكفى بها فائدة. ولكنه لم يحسن في ما استنتجه من كلامنا لانه لا ينطبق على كل ما جاء في المقتطف منذ ثلاث وثلاثين سنة الى الآن ولا هو مرادنا ولا مقتضى ايرادنا والسلام

آمنت وصدّقت

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف المحترمين

ما جئت لاعترض على مقالة تنازع البقاء. غير ان صاحبها في آخرها يستأذنني من فضلكم ان يحول معي — اذا سمح المقتطف — في موضوع اعدّ له المعدّات منذ زمان طويل وحالت حوائل دون نشره عنوانهُ " المادة والروح " فانا اشكرهُ على تفضُّلهِ واستئذاني والتمس منهُ ان لا يكلّف نفسهُ لاجلي هذا العناء

الدكتور
شبلي شميل

مصر في ٥ مارس سنة ١٩٠٩

الحالة المالية

استيضاح

حضرة الفاضل منشئ مجلة المقتطف الزاهرة

اولاً نشرتم في مقتطف الشهر الماضي مقالة شائقة عن الحالة المالية بالقطر المصري جديرة بالحفظ والادخار وحريّة بان يطالعها كل مصري ليعلم حالة قطره في الحال والاستقبال وارجوكم ان تفيدوني عن امر اشكل عليَّ فهمهُ فيها وهو

قلتم ان الصادرات بلغت ٢١ مليون جنيه سنة ١٩٠٨ والواردات ٢٥ مليون جنيه فيكون العجز ٤ ملايين وان القطر يدفع ٧ ملايين فائدة دين الحكومة والاهالي فيكون المكسور على القطر ١١ مليوناً . ثم ذكرتم انهُ يلزم ان يضاف الى قيمة الصادرات ٤ ملايين فوق قيمة تقدير الجارك ومليونان مما يتحصل من السياح والسفن و ٣ ملايين مما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية او بعبارة اخرى يضاف ٩ ملايين جنيه فيكون المكسور على القطر مليونين فقط لكن بينتم في الصفحة ٢٣٤ (من صحائف هذه المقالة) انهُ يجب ان يضاف على الصادرات (وهي ٢١ مليون) مبلغ ٦ ملايين (من فرق تقدير الجارك و ٢ من السياح والسفن) فتكون الصادرات ٢٧ مليوناً وهذا صحيح ويطرح من الواردات ٣ ملايين (ما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية) فيبقى ٢٢ مليوناً مع ان هذه الواردات قيمتها ٢٥ واذا طرحنا منها ٣ يبقى ٢٢ مليون وبذا تزيد الصادرات عن الواردات (٢٧ — ٢٢) ٥ ملايين جنيه اي لا ينكسر على القطر شيء بل يكسب ٥ ملايين جنيه فما صحة ذلك

ثانياً — لا ينكر احد فائدة البضائع الوطنية وضرورة تشجيع الصناع والتجار الوطنيين

لكن ارى انهُ يجب عليهم ان يقلدوا الاوربيين في صنع وبيع البضائع الرخيصة غير المتينة حتى يسهل تداولها وتروج التجارة وتزيد حركة الاعمال والاَّ فما فائدة الاتجار بالبضائع التي تعيش طويلاً ولا تتغير. واضرب لذلك مثلاً. يصنع الساجون في الوجه القبلي من القطر المصري عباءات واحرمة تعيش العباءة منها ٥ او ٦ سنين والحرام ١٠ او ١٥ سنة فكيف يعيش صانعها او كيف يعتني مثل الاوربيين اذا كان الشاري (او الزبون) الذي يشتري منهُ حراماً هذا العام لا يعود اليهِ ويشتري منهُ آخر الاَّ بعد ١٠ اعوام او ١٥ عاماً

مشترك في المقتطف

مستفيد

المقتطف — اولاً ان ما اشكل عليكم فهمهُ يتضح لكم مما يلي : —

(المصروفات) التي صرفها القطر ثمن وارداتهِ ٢٥ مليون جنيه

يطرح منها ما هو باقٍ فيهِ كراس مال ٣

فالباقي وهو المصروف الحقيقي ٢٢ مليون جنيه

يضاف اليهِ فوائد دين الحكومة والاهالي ٧

جملة المصروف ٢٩ " " "

(الايرادات) ثمن الصادرات من القطر ٢١

ما يضاف اليها فوق تقدير الجمارك ٤

من السياح والسفن ٢ والمجموع ٢٧ " " "

فالمكسور على القطر ٢ " "

ولم نقل في الصفحة ٢٣٤ انهُ يطرح من قيمة الواردات ٣ ملايين فيبقى ٢٩ بل قلنا ان صافي الخارج اي صافي ثمن الواردات مضافاً اليهِ ما تدفعهُ الحكومة والاهالي فائدة. لان هذه الاموال كلها خرجت من البلاد. والذي خرج من البلاد هو فائدة ديون الحكومة والاهالي اي ٧ ملايين وثمن الواردات مطروحاً منهُ ثلاثة ملايين اي ٢٢ مليوناً والجملة ٢٩ مليوناً

ثانياً اذا اعتبرنا الامة بفعلهِ زيد صانع العباءة وعمرو مشتريها فحكمكم صحيح اي ان زيداً يكسب ما يخسرهُ عمرو واذا لم يخسر عمرو شيئاً فلا يكسب زيد شيئاً ولكن الامة لا ينظر اليها هذا النظر بل تعتبر كجسم واحد او كشخص واحد. وهذا الشخص لهُ قوة

محدودة فاذا بذلها في عمل عبادة تقيم شهرًا وتتلف يكون انتاعها في شهر واذا بذلها في عمل عبادة تقيم عشر سنوات يكون قد استفاد منها عشر سنوات . والامة الراقية يعرف افرادها ان العبادة التي تقيم عشر سنوات افضل كثيرًا من التي تقيم سنة او بعض سنة فيشترون الاول ويتركون الثانية واذا لم يكن جمهور افرادها كذلك فيجب ان نعلمهم حتى يصيروا كذلك. ولو عرف التجار انهُ لا يروج عندنا الاَّ البضاعة الخالية من الغش لاتونا ببضائع خالية من الغش فقط فيكون النفع منهُ للامة كلها . اما الحال الحاضرة فمآلها الخسارة والخراب

تعليم العربية

حضرة الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الغراء

بينما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهر عثرت في باب المراسلة والمناظرة من عدد مارس على "مذهب جديد في تعليم العربية" لاحد الفضلاء وفيهِ وصف الداء والدواء في تعليم العربيَّة اي ذكر بعض الصعوبات وكيفية ازالتها حسب رأيهِ — والصعوبتان اللتان ذكرها اي امكان تشكيل الخط الغير المشكل على طرق مختلفة وعلم شيوع اللغة الفصحى هما بلا جدال من اكبر العقبات في تعلم العربية — اما الصعوبة الثانية فلا يمكن ازالتها الاَّ بعد تعميم التعليم وبعد ان تعلم اولاد كل طبقات الامة وتجعل اللغة الفصحى لغة الدرس والتدريس ولا بأس بعد ذلك اذا بقيت اللهجات المختلفة وكان للجميع ملكة التعبير عن الافكار باللغة الفصيحة — وهذا هو الحال في المانيا مثلاً فان لغة اللهجات فيها الى اللغة الفصحى تكاد تكون كما هي الحال في العربية على ان الجميع هناك يستطيعون متى ارادوا ان يتكلموا باللغة الفصيحة المكتتبة — وعسى ان يدنو الوقت لتنفيذ مواد التعليم في القانون الاساسي فيعم التعليم ويجعل الزاميًّا في كل الممالك العثمانية

اما صعوبة تشكيل الكلمات فيمكن ازالتها بالدرس المتواصل والتمرين الكثير — وقد اقترح الكاتب الفاضل صرف النظر عن تعليم قواعد اللغة من صرف ونحو في "الفرق الاولية" الى استظهار الكثير من القرآن الكريم ومن اشعار العرب بعد الاسلام ثم تكليف الطلبة انشاء منشآت وتدريبهم على الخطابة — اما من جهة الامر الاول فاقول انهُ من المستحسنات ان يحفظ التلاميذ عن ظهر القلب بعض الفصول والآيات من الكتب المنزلة (القرآن عند المسلمين والتوراة والانجيل عند النصارى) وكذلك حفظ شيء من الشعر والنثر ولكن لا يجوز على كل حال التثقيل على عقول التلاميذ فان الحفظ غيباً يقتضي وقتاً كثيرًا وتعباً شديدًا

يمكن صرفها في امور أخرى في التعليم وتكون الفائدة اكبر . وقد يورث التغييب الكثير التلميذ مللاً وضجراً يذهبان غالباً بكل لذة التعليم والمدرسة

ولست ادري كيف ينتظر حضرتهُ من " الفرق الاولية " ان ينشئوا منشآت ويخطبوا خطباً — ويناظروا بعضهم بعضاً قبل ان يتعلموا شيئاً من قواعد اللغة وهي من اصعب الامور فمن اين لهم الافكار والذوق والادراك والانشاء والمقالات والخطب — أليس الاجدر بنا ان نمرّن عقول التلامذة على الافتكار والتكلم بكل الوسائل الممكنة بواسطة الصور والحديث عن البيت والعائلة والحقل والبستان وهلمَّ جرّاً — اذ لا يليق بنا ان نمرّنهم على ابسط قواعد اللغة كما فعل المرحوم رشيد الخوري الشرتوني في كتابهِ " مبادىء العربية " ولماذا لا يمرّن الصغار في بعض مواد الصرف والنحو كالجمع المكسّر. ولم لا يعوّدون النظر الى عدد أصول احرف الكلمة وما اشبه — ويحسن التدرج في تعلم قواعد اللغة حسب القاعدة المشهورة : من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن المعلوم الى المجهول ومن المألوف الى غير المألوف — وعلى كلٍّ يجب الانتباه الى القصد من تعليم اللغة في المدارس الابتدائية والى الوقت المسموح به لذلك فليس القصد تخريج علماء في اللغة بل غاية القصد ان يفهم التلامذة ما يطالعونهُ في الكتب والجرائد والمجلات وان يحلّوا كيفيّة التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهذبة مجتنبين الاغلاط الكتابية واللغوية

واما الانشاء في المدارس فلا يجوز ان يُشتغل بهِ قبل ان تكون عقول التلامذة قد تمرّنت وصاروا يحسنون القراءة والكتابة وذلك فلا يكون قبل نهاية السنة الرابعة المدرسية يجب تدريبهم على كتابة انشاءات سهلة فصعبة فأصعب ولا بد من تصليحها وإلفاتهم الى اغلاطهم والى ما كان يمكن ان يكون التعبير بهِ اصح والكلام ابلغ

ولي كلمة في الكلام على كتب القراءة المتداولة في المدارس الابتدائية — لا ينكر ان لهذه الكتب تأثيراً ليس بقليل في عقل التلميذ وآدابهِ واخلاقهِ وانشائهِ وذوقهِ فيجب بذل الهمة لجعلها صالحة لهُ ومهذبة اياهُ . قال لكن الالماني " الافضل والاحسن هو الحسن للاولاد ليس الأ " واذا نظرنا الى كثير من كتب القراءة وصرفنا النظر عن الورق السخيف والتجليد الواهن نجد بين مقالاتها النفيسة مقالات تافهة ليس من ورائها نفع وقد نجد قطعاً تفوق كثيراً ما يدركهُ عقل الولد فيجب اختيار افضل ما كتب بالعربية نثراً ونظماً وما يناسب من الاولاد وان يجتنب الكلم الوحشي غير المألوف ويبدل بكلام مألوف كثير الاستعمال — ويا حبذا لو تنقحت هذه الكتب قبل اعادة طبعها وحذف منها ما هو غير نافع

وعرّض عنهُ بما هو جزيل الفائدة ويا حبذا لو أُعني كل الاعتناء بطبعها ودقق كل التدقيق في تشكيل الكلمات في الكتب المشكلة منها لكي لا يعتاد التلاميذ تلفظاً مغلوطاً يكاد يستحيل اصلاحهُ في المستقبل ويا حبذا لو وضعت كل الحركات والسكنات والضوابط التي يؤمن بها اللبس ولو كانت الكتب غير مشكولة عند التلفظ بها واصطلح على وضع علامات للاستفهام والنداء وما اشبه ابرهيم مخائيل عطا

باب الزراعة

المعرض الزراعي الصناعي

افتتح سمو الخديوي المعظم المعرض الزراعي الصناعي يوم الاربعاء في الثالث من مارس بالاحتفال المعتاد . فاجتمع المدعوون الى الاحتفال رسميًّا يتبوّأون الى حديقة المعرض من الساعة العاشرة ونصف صباحاً وهم حضرات اصحاب الدولة امراء العائلة الخديوية وحضرات النظار ومستشاري الحكومة واكابر رجال المية وسعادة محافظ العاصمة واعضاء الدومين وصندوق الدين وجناب السر الدن غورست وغيرهم من وكلاء الدول واكابر الاعيان والتجار ورجال الصحافة من وطنيين واجانب

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً اقبل سمو الخديوي المعظم في موكبهِ الحافل وهو يسامر في مركبتهِ عطوفة بطرس باشا غالي رئيس النظار فصدحت الموسيق بالسلام الخديوي وخف دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الخديوية الزراعية وحضرات اعضاء مجلس ادارتها وغيرهم من اكابر رجالها فاستقبلوهُ بالاجلال والاكرام وحياهم سموهُ مصافحة وحيا كذلك حضرات البرنسات الفخام ووكلاء الدول ورجال الحكومة وغيرهم وتوجه الى دار المعرض حيث سار دولة البرنس حسين بجنبهِ يشرح لسموهِ ما هو معروض فيها من محصولات القطر كالقمح والذرة والشعير والفول والارز وسائر انواع الحبوب والقطن على اختلاف اصنافهِ وقصب السكر والبنجر وبعض الحاصلات الحيوانية من لبن وجبن وزبدة وعسل وشمع وما شاكل . والخضر على اختلاف اصنافها وانواعها ومما استوقف الابصار هناك خصوصاً شجرتا قطن زرعتهما مصلحة الدومين في قطعتين متجاورتين من ارض واحدة